



على امتداد سنوات العقد المنصرم لم تحظ منطقة من مناطق العالم بأهمية أكبر مما حظيت به منطقة الشرق الأوسط، وتوجد في مركز هذه المنطقة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي أثارت قلق جيرانها الخليجيين بشأن أهدافها، بحسب دراسة حديثة صادرة عن "مركز الخليج للأبحاث"، ومقره جنيف بسويسرا، والتي جاءت تحت عنوان: "إيران والربيع العربي: إفساد مساعي الهيمنة" لشهرام شوبين، المتخصص في الشؤون السياسية الإيرانية، فإنه لا يمكن فصل سياسة إيران الإقليمية عن نهج طهران تجاه الولايات المتحدة؛ فلقد كانت مواجهة الولايات المتحدة والنظام الإقليمي الذي ترعاه تمثل مصلحة جوهرية بالنسبة لإيران منذ قيام الثورة الإسلامية.

وفي العقد الماضي صار الهدف قريباً على نحوٍ مُغْرِّ، ثم لم يلبث أنْ جاء الربيع العربي في سنة 2011م وأطاح به، ومنذ ذلك الحين واجهت إيران بيئة إقليمية تُظهر درجة أقل من سلاسة الانفصال، وذلك في ظل: ضعف الحلفاء، وازدياد قوة الخصوم، واتجاه الأنظمة الجديدة - بعد الربيع العربي - لرفض التدخلات الخارجية.

#### الجغرافيا السياسية للمنطقة

لم يفسح الربيع العربي بعد الطريق للصيف المنشود. كما تشير الدراسة. لكن بالنسبة لإيران تحول هذا الربيع بالفعل إلى "شتاء ساخط"؛ حيث تجد رسالتها الثورية ضعيفة، وأنَّ الأحداث تجاوزتها، خاصة مع ضعف حليفها السوري وزيادة السخط في المنطقة على دورها في مساندة نظام بشار الأسد.

ولم يُفْضِ عدم الاستقرار الإقليمي واسع الانتشار إلى توسيع قوة إيران ونفوذها؛ حيث وجدت طهران نفسها في موقف رد الفعل تجاه الأحداث بدلاً من توجيه هذه الأحداث.

وكما تشير الدراسة، فلقد كانت "الтикبات" الإيرانية - في مرحلة ما قبل الربيع العربي - أن تكون طهران في وضع لا يتمنى فيه حسم أية قضية إقليمية دون الرجوع إليها، مثل الاتحاد السوفيتي السابق أثناء الحرب الباردة.

ولضمان هذا فإنّها تتوارد في القضايا كافة، سواء بغرض انتقاء نتائج غير مرغوب فيها، أو اكتساب أوراق تفاوضية تبادلها بأشياء ذات مصلحة مباشرة أكبر بالنسبة لها، وهو ما كان يعنيــ ضمناًــ وجوداً إيرانياً في كل أنحاء المنطقة على الصعيد السياسي، واستثماراً شاملأً في الجماعات الشيعية والسنّية (حزب الله وحركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي)، أو في جيش المهدي وحزب الدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى الإسلامي العراقي كما في العراق، وفي القوات المناهضة لطالبان والمؤيدة لها في أفغانستان، بما في ذلك تنظيم "القاعدة".

وكانــ أدــةــ هــذاــ الــانــخــراــطــ الإــقــلــيــمــيــ هوــ فــيلــقــ الــقــدــســ التــابــعــ للــحــرــســ الثــورــيــ الإــيرــانــيــ.

### إيران وتحديات ما بعد الربيع العربي

لقد خلف الربيع العربيــ تحديات للنفوذ الإيرانيــ ومنها:

تشديد العقوبات الدولية، وزيادة الصدع الطائفي في المنطقة الذي لا يصب في مصلحة طهران، إضافة إلى: الوحدة والتصميم الجديدين من جانب مجلس التعاون الخليجي لمواجهة إيران إذا لزم الأمر، وتخلّي حماس عن "جبهة الممانعة"، وتضاؤل جاذبية إيران الإقليمية، وضعفــ إنــ لمــ يــ肯ــ انهــيارــ نظامــ الأــســدــ فيــ سورــياــ.

في مواجهة هذه الأوضاع فإنــ إــیرــانــ تــمــتــكــ مــنــ النــاــحــيــةــ النــظــرــيــةــ ثــلــاثــةــ بــدــائــلــ لــلــتــعــامــلــ مــعــ هــذــهــ التــحــديــاتــ،ــ وــهــيــ عــلــىــ النــحــوــ التــالــيــ:

ــ إــبدــاءــ الــمــرــوــنــةــ فــيــ الــمــفــاــوــضــاتــ الــدــوــلــيــةــ وــالــســعــيــ إــلــىــ إــيقــافــ الــعــقــوــبــاتــ،ــ وــيــشــمــلــ هــذــاــ مــحاــوــلــاتــ الــعــثــورــ عــلــىــ عــمــلــاءــ جــدــدــ لــلــنــفــطــ،ــ وــالــالــتــفــافــ عــلــىــ الــعــقــوــبــاتــ بــطــرــيــقــةــ مــبــتــكــرــةــ،ــ وــالــعــثــورــ عــلــىــ حــلــفــاءــ جــدــ.ــ وــعــلــيــهــ ســيــكــونــ هــنــاكــ ســعــيــ نــحــوــ تــسوــيــةــ (ــإــســتــرــاتــيــجــيــةــ)ــ بــشــأنــ الــقــضــيــةــ الــنــوــوــيــةــ لــتــقــلــيــصــ هــذــهــ الضــغــوــطــ.

ــ مــقاــوــمــةــ هــذــهــ الــقــيــوــدــ الــجــدــيــدــ فــيــ الــمــنــطــقــةــ مــنــ خــلــالــ تــصــعــيدــ الــهــجــومــ إــقــلــيــمــيــاــ لــتــحــســينــ مــوــقــفــهاــ التــفــاوــضــيــ (ــعــلــىــ ســبــيــلــ الــمــثــالــ).ــ زــيــادــةــ التــكــالــيــفــ فــيــ سورــياــ وــالــيــمــنــ).

ــ الرــضــوخــ وــالتــعــاــيــشــ مــعــ الــوــاــقــعــ الــجــدــيــدــ،ــ مــعــ التــأــكــيدــ عــلــ منــافــعــ الــاعــتمــادــ عــلــ النــفــســ،ــ وــالــتــصــمــيمــ عــلــ عدمــ ثــنــيــهاــ عــنــ مــبــادــئــهاــ،ــ وــالــرــضــاــ بــتــحــمــلــ الــضــغــوــطــ بــتــســوــيــاتــ وــ"ــتــنــازــلــاتــ"ــ تــكــيــكــيــةــ دونــ التــنــازــلــ عــنــ شــيــءــ جــوــهــريــ كــثــيرــ،ــ أوــ التــخــلــيــ عــنــ دــوــرــهاــ الثــورــيــ.

إنــ أحدــ التــعــقــيــدــاتــ بــالــنــســبــةــ لــإــیرــانــ فــيــ مــرــحــلــةــ ماــ بــعــدــ الرــبــيعــ الــعــرــبــيــ هوــ اــرــتــبــاطــ دــوــرــهاــ إــلــىــ إــقــلــيــمــيــ الــثــورــيــ بــشــرــعــيــةــ نــظــامــهاــ الدــاخــلــيــ؛ــ فــهــلــ تــحــتــمــ إــیرــانــ ســيــاــســيــاــ أــنــ تــخــلــيــ عــنــ "ــالــإــحــســاســ بــأــنــهــاــ مــحــاــطــةــ بــالــأــعــدــاءــ؟ــ،ــ وــهــوــ إــلــهــاســ الــذــيــ تــســتــغــلــهــ دــاخــلــيــاــ،ــ بــحــســبــ الــدــرــاســةــ.

الواقعــ أــنــ إــیرــانــ فــعــلتــ أــشــيــاءــ مــنــ الــبــدــائــلــ الــثــلــاثــةــ،ــ مــســتــخــدــمــةــ الــمــفــاــوــضــاتــ الــنــوــوــيــةــ لــلــإــيــاهــ بــمــرــوــنــتهاــ،ــ ســاعــيــةــ إــلــىــ إــحــدــاثــ انــقــســامــ بــيــنــ مــجــمــوــعــةــ الــدــوــلــ الــســيــتــ (ــ5ـ~ـ1ــ)،ــ مــعــ وــجــودــ بــعــضــ الــاــســتــجــاــبــةــ فــيــ رــوــســياــ وــالــصــينــ،ــ وــقــدــ لــجــأــ إــیرــانــ إــلــىــ بــيــعــ نــفــطــهاــ ســرــاــ (ــأــيــ)ــ عــنــ طــرــيــقــ التــجــارــ لــاــ عــنــ طــرــيــقــ الــحــكــومــاتــ)،ــ وــعــلــىــ الرــغــمــ مــنــ ذــلــكــ اــنــخــفــضــتــ الــمــبــيــعــاتــ وــخــفــضــتــ الــأــســعــارــ،ــ وــبــالــتــالــيــ فــإــنــ تــكــلــفــةــ الــعــقــوــبــاتــ مــلــمــوــســةــ.

وــأــشــارــتــ الــدــرــاســةــ إــلــىــ أــنــ كــثــيرــاــ مــاــ هــدــدــتــ إــیرــانــ بــالــإــقــدــامــ عــلــ فــعــلــ مــتــهــورــ إــذــاــ ضــيــقــ عــلــيــهاــ الــخــنــاقــ،ــ مــســتــشــهــدــةــ بــفــرــضــيــةــ "ــإــمــاــ الــجــمــيــعــ بــمــأــمــنــ أــوــ لــأــحــدــ"ــ،ــ وــهــيــ مــقــوــلــةــ ســعــتــ إــیرــانــ إــلــىــ تــفــعــيلــهاــ أــثــنــاءــ "ــحــرــبــ النــاقــلاتــ"ــ مــعــ عــرــاقــ،ــ فــيــ ثــمــانــيــنــياتــ الــقــرــنــ الــمــاضــيــ.ــ وــقــدــ اــنــتــهــىــ هــذــاــ الــحــدــثــ نــهــاــيــةــ غــيرــ ســارــةــ بــالــنــســبــةــ لــإــیرــانــ،ــ عــلــىــ الرــغــمــ مــنــ الــذــاــكــرــةــ الــاــنــتــقــائــيــةــ!ــ

وــكــمــ رــأــيــناــ،ــ فــإــنــ إــیرــانــ "ــتــقاــوــمــ إــقــلــيــمــيــاــ"ــ فــيــ الــيــمــنــ وــســوــرــياــ وــرــبــيــماــ الــعــرــاقــ،ــ وــكــذــلــكــ فــيــ "ــحــرــبــ الــظــلــ"ــ بــيــنــهــاــ وــبــيــنــ إــســرــائــيــلــ،ــ وــقــدــ

تواصل فعل ذلك لكنْ من غير المرجح أنْ تشن "هجوماً؛ لأنَّ هذا سيثير ردود أفعال من القوات الأمريكية الموجدة قريباً منها.

كما أنَّ هناك الجبهة المحلية، حيث تُسمى إيران العقوبات نعمةً واحتباراً لمبادئ الثورة، ولاسيما الصمود، وسوف تتأكد من أنَّه على الرغم من التضخم فإنَّ جمهور أنصارها الأساسي لم يتأثر سلبياً، وسوف يسعى إلى أنْ يُنحي باللائمة في هذه المصاعب التي تعيشها البلاد علىقوى الخارجية، مع المناداة بالوحدة الداخلية بدلاً من التنافس الفئوي أو نقد الذات.

### مستقبل النفوذ الإيراني

السؤال الذي يفرض نفسه في الدراسة هو:

ماذا عن النفوذ الإيراني بعد الربيع العربي في المنطقة؟

اللافت أنَّه في الوقت الذي يُعدُّ فيه تيارُ الإسلام السياسي الفائز الأكبر من الربيع العربي فإنَّ إيران من أكبر الخاسرين، بحسب ما أفادت الدراسة.

وذهبت الدراسة إلى القول بأنَّ إيران لم تكن مستعدة للربيع العربي، على العكس من باقي الدول الأخرى، مضيفةً أنَّ إيران تفاجأت بالوحدة الخليجية إزاء ما يحدث في البحرين.

ويبدو أنَّ إيران لم تكن راغبة في المجازفة بعلاقتها مع باقي دول الخليج العربي بسبب مستقبل البحرين، وقد تطورت التصورات العربية عن إيران حتى صار العرب يرونها تأخذ مكان إسرائيل بوصفها تمثل تهديداً كبيراً لهم؛ إذ هم الآن يرون جارتهم الفارسية كـ"دولة تمارس الهيمنة، وتحاول تنفيذ سياسات تدخلية بشكل عدواني وربما تكون توسعية...".

وترى الدراسة أنَّ إيران ربما تعاني من مواطن ضعف في الداخل، لكنَّها ليست على وشك الانهيار؛ حيث يستفيد النظام من الشروخ المجتمعية التي مازالت تعطيه جماهيرية كبيرة بدرجة كافية للبقاء في السلطة بالقوة متى دعت الضرورة إلى ذلك.

إنَّ ما يمكنه أنْ يغيِّر الأمور في إيران هو: مزيج من تراجع كبير وعاجل ومستدام في أسعار النفط، وانخفاض الطاقة الإنتاجية، والأثر التراكمي المؤلم للعقوبات.

المصادر: